



بلدان الساحل الإفريقي (الأهمية الإستراتيجية والسياسية والأطماع الغربية) بين الأمس واليوم

احمد جعفري الوغزيري

قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ،

جامعة غرداية

البريد الإلكتروني: jaaфри2008@yahoo.fr

BP 544 Ghardaia 47000 - Algérie

الملخص-

تشترك بلاد الساحل الإفريقي ماضيها وحاضرها في علاقاتها مع الدول الغربية الامبريالية في تلك الأطماع المتجددة منذ كشف هذه المنطقة للعالم الاروبي خصوصا والغربي عموما ، فلان كان العرب من خلال كتاباتهم أسهموا بالتعريف عن هذه المنطقة منذ العصر الوسيط فان المستكشفين الاروبيين اقتفوا أثرهم بكثير من النهم والبحث والدقة فرسموا هذه المنطقة في رحلاتهم وكتاباتهم اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وقدموا بذلك خدمة جليلة لمختلف الدوائر الاستعمارية في الفترة الحديثة والمعاصرة فلم تسلم بذلك بلاد الساحل من الاستغلال الغربي البشع لهذه المنطقة غير أبهين لا بالزمان ولا المكان ولا الإنسان ولا أدل على ذلك ما تعانيه بلدان الساحل في يومنا هذا (مالي، موريتانيا، تشاد.... الخ) .

الكلمات المفتاحية : بلدان الساحل - الإطار الجغرافي - الأهمية

الإستراتيجية-

Abstract-

Share Sahel countries of Africa past and present in its relations with the Western imperialist states in those renewable ambitions since revealed this region of the world Europeanisation in particular and western generally, so and so was the Arabs through their writings have contributed to the definition for this region since the Middle Ages, the explorers Arubans traced their impact much of gluttony, research and precision This area Vsmao on their travels and writings socially, economically and politically, and gave it a great service for the various colonial circles in the modern period and contemporary film recognizes that the country's coast from western brutal exploitation of this region is insensitive not to time nor place nor human nor evidenced by what ails the Sahel countries in this day (Mali, Mauritania, Chad etc.)

Keywords: Sahel countries - geographical framework - strategic importance

مقدمة -

تكتسي منطقة الساحل الإفريقي أهمية بالغة قديما وحديثا ، سألنا وانما بولعلنا بذلك من خلال هذا البحث لا نقصد المفهوم القديم حسب التقسيمات التاريخية، وإنما بدايات الكشف والتوغل في الصحراء، من قبل الجمعيات الكشفية الجغرافية الفرنسية والانجليزية، بدءا من رحلات مانقو بارك¹ وهنري بارت² مروراً بجوستاف ناشتيغال وصولاً الى رينيه كاييه . حيث قدم هؤلاء معلومات قيمة ودقيقة عن كل مايتعلق بالمنطقة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، فاسحين المجال بذلك لمختلف أشكال التوسع الاستعمارية إلا انه وبالرغم من انتشار موجة التحرر التي عمت اغلب دول الساحل نهاية 1960م، إلا أن هذه الأخيرة ظلت محل أطماع مختلف الدوائر الامبريالية الغربية ولا ادل على ذلك من التدخل الفرنسي الاخير في المنطقة ، والسؤال الذي نحاول الإجابة عنه ، كيف نفسر الاهتمام الغربي الأمريكي الاروبي اللامتناهي بالمنطقة قديما وحديثا وللإجابة

عن ذلك تمحور البحث حول عناصر رئيسية ثلاث ، أولا إبراز الإطار الجغرافي لمنطقة الساحل الإفريقي ،ثانيا الأهمية الإستراتيجية والأطماع الأوروبية في منطقة الساحل قديما ،وثالثا بنفس العنوان لكن في وقتنا الراهن أي بتغيير الإطار الزمني لا الإطار الجغرافي .

1- الاطار الجغرافي لبلدان الساحل الافريقي:

تجمع اغلب الدوائر الجغرافية والسياسية على ان بلاد الساحل الافريقي هي المنطقة الممتدة من ساحل المحيط الاطلسي غربا حتى السواحل الافريقية على المحيط الهندي شرقا ، تضم بين ثناياها كيانات سياسية من الغرب نحو الشرق وهي (السنغال ، بوركينا فاسو،مالي ، شمال نيجيريا ،النيجر ،تشاد ،السودان ،اثيوبيا) على مسافة 5400 كلم من المحيط الاطلسي غربا الى البحر الاحمر شرقا على ان هناك من يقدمها في اطار اوسع واخر اضيق مكتفيا بالاطار الجغرافي ما بين المحيط الاطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا .(الشكل 1).³

وهي منطقة شبه جافة تقع بين الصحراء الكبرى في الشمال والسفانا في الجنوب ، وهو اقليم ذو اهمية استراتيجية كبيرة تبعا للموقع والثروات البكر التي يزخر بها .

2- الأهمية الإستراتيجية والأطماع الغربية قديما :

ظلت الصحراء الكبرى الإفريقية عالما مجهولا للأوروبيين لقرون طويلة ولم يكتب عنها هومر وسيلاكس وبروماتوس إلا معلومات جد محدودة ، غير ان ان هيرودوت كان اول من قدم معلومات موسعة عنها للأوروبيين ،حيث زار ليبيا وتحدث عن شعب التوبو ومنطقة تيبستي بتشاد حاليا ، كما حاول القرطاجيون ربط شمال القارة بوسطها تجاريا بواسطة مجرى وادي درعة ونهر السنغال عبر رحلة حانون القرطاجني ،وبذلك راجت بضائع الصحراء في أسواق شمال القارة مثل الذهب والجلود وريش النعام والعبيد .⁴

أما في العصر الإسلامي جاب الصحراء الكبرى الإفريقية رحالة عرب عديدون من أبرزهم وفق الترتيب الزمني والتاريخي لمسح المنطقة البكري وابن حوقل وابن بطوطة وابن خلدون والإدريسي وحسن الوزان.... الخ.⁵

مع بداية القرن 18م اشتد التنافس الكشفي الاستعماري لإفريقيا وبلاد الساحل بين بريطانيا وفرنسا، وظهر ذلك جليا من خلال نشاط الجمعيات الكشفية الجغرافية، حيث كان للانجليز يد السبق في ذلك خاصة بعد تقلص مستعمراتهم في العالم الجديد عن طريق جمعية إفريقيا التي تأسست بلندن سنة 1788م، وفتحت إفريقيا أمام رغبات المغامرين الأوروبيين الجامعة بهدف اكتشاف المجهول والحصول على الهدايا والجوائز التي تمنحها الجمعيات الجغرافية مقابل كل وصف وكشف لمنطقة جديدة في إفريقيا لم يسبق وان وطأ أرضها أروبي قبل ذلك.

كان من أوائل الوافدين "هورنمان" 1799م قام برحلة من القاهرة إلى مرزق ثم طرابلس ومنه إلى أطراف النيجر سنة 1800م، أين توفي بتومبوكتو وتبعه كل من "دنهام" "وكلابرتون" و"أودني" وكانت وجهتهم في الغالب من طرابلس الغرب باتجاه بحيرة تشاد عام 1821م.

وقبل هؤلاء اجتاز "مانجو بارك" الإيطالي نهر النيجر بعد المحاولات العديدة السابقة. إلا أنه ولسوء حظه لقي حتفه غيلة قبل اكمال الانجاز عند مصب نهر النيجر في خليج غينيا، وفي سنة 1826م قام الماجور "جوردون لانج" برحلة من سيراليون إلى تمبوكتو عبر توات ويقال أنه قتل بعودته في العام الموالي.

أما أشهر الرحالة الفرنسيون الذين جابوا بلاد الساحل فيتقدمهم "روني كاييه" الذي انطلق من مرفأ سان لويس في السنغال مرورا بالصحراء الإفريقية في جزئها الغربي وصولا إلى تمبوكتو التي أقام بها لسبعة أشهر ليعود إلى فرنسا عبر المغرب الأقصى.⁷

استفاد الرحالة الأوروبيون في ذلك من رحلات وكتابات العرب السابقة الذين ابانوا عن هذه المناطق وماتزخر به ثروات متنوعة دفعت بالاروبيين إلى السعي حثيثا في الوصول إلى مصادر هذه الثروات .

3- بلاد الساحل والغزو الاستعماري:

إن اغلب أقطار بلاد السحل الإفريقي خضعت للاستعمار الفرنسي، إذا استثنينا من ذلك شمال نيجيريا ،وقد اتخذت فرنسا قبل ذلك من الجزائر سنة 1830م قاعدة خلفية بهدف التوسع في المنطقة جنوبا فضلا عن المحيط الأطلسي ، ولئن كانت اغلب أشكال الاستخبارات الاستعمارية قد جانبت الصواب في تقديراتها آنذاك حول سهولة التوغل الاستعماري من الجزائر باتجاه الصحراء وإفريقيا ،بفضل الثورات الشعبية المتوالية التي أعاققت هذا التقدم ،ولعلنا من خلال هذا الكشف سنتوقف عند ثلاث حملات فرنسية مشهورة غطت اغلب بلاد الساحل في أواخر القرن 19م .

_ حملة "ايميل جنتيل " اعوام (1895،1900،1899،1897) للتعرف على مصبات نهر الكونغو وادية مياه بحيرة تشاد (اويانجي ،شاري) وتصدى له سلطان بورنو رابع واتباعه .

_ حملة "فولي شانوان"و" جولان ميني" الى افريقيا الوسطى اعوام (1899_1900) خربت هذه الحملة جميع قرى نهر النيجر

_ حملة فورولامي اعوام (1900،1898) وهي اهم هذه الحملات جميعا انطلق هذه الاخير من الجزائر بتوغلاته في الصحراء منذ 1876م ولم يفلح في الوصول الى منطقة الأير بالهقار سنة 1897م خوفا من ان يلقي مصير فلاتر ،وفي 05مارس 1898م عين للقيام بحملة تمثل جزءا من ثلاث حملات كبيرة الاولى تنطلق من جنوب الجزائر والآخرى من السنغال وثالثة من الكونغو ،لتكون بحيرة تشاد نقطة التقاء بينها .⁸

انطلقت الحملة تحت قيادة فورو وجند لها 296 عسكريا والف جمل ومجموعة من الادلاء ومخبري الصحراء، وحلت في ورقلة بتاريخ 16 اكتوبر 1898م، لتصل الى تشاد في فيفري من سنة 1899م لتلتقي بحمليتي جنتيل وجولاند وكان من ابرز نتائج هذه الحملة ابرام اتفاقية لتقسيم القارة بين الفرنسيين والانجليز تجنباً للمواجهة والصراع عام 1899م، وبذلك تمكنت فرنسا من التوسع على حساب اراضي شاسعة في منطقة الساحل الافريقي من تشاد شرقا وحتى السنغال غربا .

موازة مع ذلك وبتتبعنا لخط سير عمليات الغزو والاستكشاف الفرنسي الانجليزي في بلدان الساحل الافريقي، يتبين لنا ان هذا الاخير قام بدراسات دقيقة علمية في مختلف المجالات كشف من خلالها عن اغلب الامكانيات الاقتصادية التي تزخر بها المنطقة ناهيك عن المسح الجغرافي الطبيعي التضاريسي والمناخي، بالاضافة الى مصادر المياه وغيرها، كل ذلك بهدف استغلالها واستثمارها والاستفادة منها اقتصاديا .

لقد كان من اهداف السياسة الاستعمارية الاربوية ربط شمال القارة بجنوبها ومن ثم باروبا، ولا ادل على ذلك من سلسلة المشاريع الخاصة بالنقل مثل مشروع مد خط سكة حديدية للنقل الصحراوي، تسهيلا لعمليات نقل القوات الغازية وربط مستعمراتها بعضها ببعض، وبالتالي خدمة التجارة الفرنسية خاصة والاروبية عامة، بجعل افريقيا جنوب الصحراء وبلاد الساحل سوفا لترويج السلع الاربوية بامتياز، وقد اعتمد الاربويون في وضع هذه المشاريع اعتمادا على دراسات الرحالة العرب كما اسلفنا .

ومن اهم الاسواق التي ركز عليها الفرنسيون جهودهم من اجل احتكارها واستغلالها نجد اسواق تمبكتو في السودان الغربي، واسواق بورنو ووداي في السودان الاوسط، ودارفور وكوردفان في السودان الشرقي .

وجدير بالذكر ان نشير الى المشروع الفرنسي الهادف الى انشاء بحر داخلي يربط شمال القارة بوسطها خصوصا بعد نجاح "دوليسبيس" في حفر قناة السويس

، ليسهل عليهم بذلك عناء التنقل عبر الصحراء الشاسعة المترامية الاطراف ذات الظروف الطبيعية القاسية وبالمقابل الاستغلال الامكن لمكنونات الصحراء ، وتحمس لهذا المشروع "فرانسوا رودير" وتكونت في فرنسا هيئة خاصة لذلك ، وتم تحديد منطقة احواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحرالداخلي ، برفقة احواض شط ملغيع والحضنة بالجزائر سنة 1873م وقد حظي المشروع بتأييد الامير عبدالقادر من منفاه في سوريا .

لقد كان الهدف الاسمى للاحتلال الاروبي لافريقيا هو الاستغلال الاقتصادي بعيدا عن كل الادعاءات والمزايدات الغربية القائلة بتمدين الافريقي واخراجه من التخلف والبربرية⁹، ولا اصدق على ذلك ماعاناه الافريقي ولايزال .فحياته قبل الاستعمار كانت ارحم .

4- الاهمية الاستراتيجية والاطماع الامبريالية في الوقت الراهن

تمثل منطقة الساحل الافريقي مجالا حيويا تتسابق فيه مختلف القوى الامبريالية ، بحيث لكل قوة وجهتها ومنفذها ، فالصين عبر المنفذ الصناعي التجاري لتجعل من افريقيا سوقا واسعة لمنتجاتها ذات الاثمان المعقولة ، والولايات المتحدة الامريكية بحجة محاربة الارهاب والجريمة المنظمة في سعيها الحثيث لاقامة قاعدة عسكرية على غرار باقي مناطق المعمورة واسميتها بذلك افريكوم لولا المعارضة الجزائرية لهذا المشروع لكان الان واقعا وقد يعود¹⁰ ، وهي بذلك لاتختلف كثيرا عن المسعى الفرنسي وان كانت الاخيرة تعددت مذاهبها ومنافذها ، حيث تعتبر المنطقة ارثا استعمارييا ، فمن تدخلها العسكري الحالي كهذف معلن الى اهداف خفيت وهي اعظم ،وياتي في مقدمتها المنفذ الاقتصادي باستغلال مختلف اشكال الثروات البكر للمنطقة من امثلة اليورانيوم والنفط والغاز بهدف التحكم في مصادر الطاقة¹¹ .

هذا من الجانب الاقتصادي ، الا انه لابد لنا من وقفة قليلة نذكر فيها ان الاستعمار الذي رحل عن المنطقة باستقلال بلدان الساحل 1960م لم يرحل بكل ثقله واذياله واتباعه واشياعه ، بل ترك في المنطقة اطماعا متعددة الاشياء والمآرب من الدينية بالعمل على نشر المسيحية (تشاد، مالي، نيجيريا) الى المشاكل العرقية الطائفية وصولا الى تقسيم الاقاليم بطريقة تعسفية دون احترام او مراعاة للجوانب الاجتماعية والانتربولوجية للمجموعات البشرية المشكلة للمنطقة.¹²

ختاما تواجه منطقة بلاد الساحل الافريقي تحديات صعبة متعددة ومتشابهة في يومنا هذا ،ولعل اصل هذه المشكلات لا يمكن باي حال من الاحوال ان نغضله عما كانت تعرفه القارة في القرن الماضي فالحاضر ماهو الا محصلة لعوامل متشابهة من الامس القريب صنعت ولا تزال تاريخ القارة الافريقية بشكل عام وبلاد الساحل بشكل اخص . يقول الرئيس سيكوتوري في احدى مقالاته " لقد ترك المستعمر وراءه عقلية استعمارية متعصنة وفكرا استعماريا يربطنا ،حتى اننا نجد بعض رجال اليوروبا يقولون أن العالم الحقيقي هو عالم الرجل الأبيض " ¹² .

الهوامش-

- 1-** طبيب ورحالة اسكتلندي ولد عام 1771م الطفل السابع لفلاح اسكتلندي ،يعيش في سلكيرك شير الواقعة بالقرب من نهر يارو ، وكان بارك قد تلقى تعليمه في المدرسة الثانوية بالمنطقة وبعد ذلك اكمل دراسته الطبية في جامعة ادنبره اكتشف نهر النيجر سنة 1805م ،توفي سنة 1806م .انظر جوزفين كام : مكتشفو افريقيا تر يوسف نصر ،الاسكندرية للكتاب، 2007م،ص108.

- 2- باحث ومستكشف الماني ختارته الحكومة البريطانية لإقامة العلاقات التجارية مع دول وسط وغرب بلاد السودان. خلد رحلاته في مجلد جغرافي حمل عنوان رحلات واستكشافات في شمال ووسط افريقيا .
- 3- حسينة.د: الارهاب في الساحل الافريقي خلفيات التنامي واليات التصدي .مقال في الانترنت من موقع نظرة جزائرية 07نوفمبر 2012م.
- 4- يحي بوعزيز: اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ماكتبوه .محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي بتمنغست،الجزء الاول،ص56.
- 5- هوارد.س: اشهر الرحلات في غرب افريقيا ،ترجمة ودراسة عبدالرحمن الشيخ،الجزء الاول،الهيئة المصرية للكتاب،ص10.
- 6- يحي بوعزيز :المرجع نفسه ، ص74.
- 7- يحي بوعزيز :المرجع نفسه، ص75.
- 8- احمد طاهر: افريقيا فصول من الماضي والحاضر .دار المعارف،سنة1975،ص166.
- 9- زعلامي العيد: الاشكاليات الامنية في الساحل الافريقي ،جريدة الشعب ،2009/11/17.
- 10- د/حسنية: الارهاب في الساحل الافريقي خلفيات التنامي واليات التصدي ، مقال الكتروني من موقع نظرة جزائرية 07 نوفمبر 2012.
- 11- محمد عبد العز سعودي: قضايا افريقيا،عالم المعرفة،الكويت ،اكتوبر1980،ص205.
- 12- احمد طاهر :المرجع نفسه ،ص197.